النحات عبد الجبار البناء: الفن ..التعبير عن العواطف الاكثر قرباً

صلاح عباس

على مدى اكثر من ستة عقود مضت ، انشغل الفنان عبد الجبار البناء بمزاولة الفن التشكيلي بكل تنوعه بيد ان جل اهتماماته انحصرت في فن النحت والنحت على الخشب تحديداً ، لما لهذه المادة من خصائص فريدة تؤمن تعبيرات اوفق ، وتتسم بمطواعية تسمح بتمثيل التعبيرات الانسانية ، بكل حالاتها وانفعالاتها ، فمادة الخشب بوصفها كياناً عضوياً ، الاقرب الى نفسه للتعبير عن الكيانات الحيوية لا سيما الانسان بمختلف نزوعاته وحالاته المتباينة.

لقد جسد الفنان موضوعات لا حصر لها عن الانسان المسالم، وعن الحب المتعالي وعن قيم التضامن الاجتماعي للتحرر من ظلم الطغاة، كما جسد ملامح انسانية مرهفة عن المرأة العراقية. وبالحقيقة ان البناء طرق ابواب كل الموضوعات التي الفناها في الفن التشكيلي مثل الملاحم والاساطير المستمدة مادتها مما يحفل به موروثنا الرافديني او العربي والكوردي عبر مراحلها التاريخية المختلفة، كما جسد بعضاً من الصور الفنية الممثلة ببعض النصوص الادبية والشعرية، فالبناء، كان قارئاً جيداً للادب كما كان مشدوداً لقراءة قصائد شاعر العرب الاكبر محمد مهدي الجواهري، فقد اخذ بترجمة النصوص الشعرية من خلال ازميله، على الخشب المحلي ليظهر لنا موضوعات عراقية اصيلة تتمتع بكل الاشتراطات الفنية والتعبيرية المسوغة بالفهم الواعي بمعنى الحداثة وتملك الاسلوب الفريد والمميز.

كان البناء يفكر بتجسيد موضوعات حضارية كبيرة، يكرسها كنماذج للجمال للاجيال القادمة، ولذا حرص كثيراً لكي لا يهادن في قضيته التي اختارها، والمتعلقة بمصير الشعب العراقي، هذا الشعب الواقع تحت ضغوط الحياة القاسية التي فرضتها كل النظم المتخلفة والحكومات المتتابعة على البلاد، فمنذ الحكم الملكي في العراق حكم على البناء بالسجن والطرد من الوظيفة، وفي الازمنة المتلاحقة كابد المحنة ذاتها غير ان نبل الموقف والفهم المعمق للعملية التاريخية حتما عليه اتخاذ العزلة بعيداً عن الانظار ومواصلة العمل في النحت قريباً من ذاته وهموم الآخرين.كان البناء يؤمن ان الحقيقة كامنة في دخيلة الانسان وحده، فالمرء يستطيع تفحص ذاته والاطلاع على المعاني الراقدة فيها ولكن ما الطرق المثلى التي تعتق الانسان ليعرف معنى الجدوى في وجود الاشياء؟ وما الغاية التي تفاعل الانفس والافكار؟

ان النظرة القريبة من الانسان يمكنها ان تؤكد فهمه وهي في نظرة تستحق العمل والمثابرة، وحتى في عمره هذا ومرضه، فما دام في القلب بقية خفقات مرهفة، وما دامت الذاكرة متحفزة بأحلى المشاعر وتسمح لخياله الطليق بفض افواه المعاني ليجعل من وجهه العجوز وجهاً فتياً بالرغم من فداحة الخسائر وتنقله الاليف بين الشجون.

ان حب المبادئ دائماً، تكرس لفهم الحقيقة التاريخية ومستقبل الحياة البشرية كانت هذه المبادئ عند الفنان اغلى من المال، وابهى من الجاه واعز من الترف لان في هذه المبادئ القيمية والاخلاقية نوعاً من العشق، ففي هذا المجمع الفكري استطاع البناء، تملك مفاتيح الرؤية الجمالية القادرة على مقاومة الغضب والبطش والجور. فأدراك مقاصد الجمال تكفل للفنان حق تملك الاسلوب الحديث والتوصل الى تراكيب آدمية اليفة وهذا الفهم المعمق جعله يحدس ان الرخام الموشى بالذهب والمرصع بالماس والذي جسد الطغاة على مختلف الازمنة ستؤول الى مواد رديئة وان منجزاته النحتية الخشبية ستعمر اكثر لانها مكفولة بروح الزمن الرشيدة والتي ستأخذ على مسؤوليتها تحطيم انوف اولئك الطغاة.

ان الفنان الحقيقي هو الذي يستطيع رؤية الفن في العالم كله وان يمهد السبيل لقدراته الابداعية لتوثيق حياته التي هي حياة الآخرين وان يجسد فروقات دقيقة في فنه من خلال كلية التعبير النهائي والذي يعطي الانطباع بالاصالة والتفرد حتى ينسدل ستار الطمأنينة على الصور المنتهية فالمسحة الشعرية التي اسبغها الفنان على منجزه الابداعي هي التي تسهم في تشكيلها الروح الانسانية، لان الفن هو الانسانية.

ان الفنان عبد الجبار البناء نظر الى المغزى العميق في الحياة عن قرب، فمنذ اكثر من ستة عقود، كان ينظر الى حقائق الوجود بصدق ويتعاطف معها بحرية، وعلى مدى سنوات حياته المنصرمة كان يأبى على نفسه الانخراط في افعال الآخرين ممن نقشوا بأزاميلهم اصنام طغاة العراق او رسموا بريشهم الملامح التاريخية البائسة للاثم.

كان عبد الجبار البناء مولعاً بتضمين افكار الجماعة، والفن بين يديه يغدو واسطة لنقل الانموذج الاخلاقي المهذب والرموز بمفهومه لا تعيش من اجل الرمز ذاته، بل من اجل حياة الآخرين.

لقد وجدت فيه ذلك الفنان الحريص لتمجيد زمنه، فلا تفوته فرصة للابداع او لعمل أي شيء يؤكد اصالته في الانجاز الفني والتفكير، وخلال سنوات العنت والجور التي مر بها بلدنا، كان يصر على الخلوة مع ذاته ليتمكن من قراءة سفر التاريخ والحقائق المتداخلة فيه بطريقته الخاصة، في حين كان بمقدوره ان يمد يده لينال كل ما يحتاج اليه ذوو الشهرة والمال غير انه ابى على نفسه ذلك.

لقد حرص الفنان ان يمتعنا في فنه وان يعلمنا الطرق الإنسانية الظافرة بالسلام والمحبة، ان هذا الانسان المتأمل في ذاته لا يرينا جوانبه المتوحدة مع جدل التاريخ لندركها ولنتأثر بها، فحقائق التاريخ تكمن في ذواتنا ولا يسعنا سوى تفحصها والاطلاع على المعاني الراقدة فيها، تلك حقيقة هذا الفنان والانسان صاحب الروح النبيلة.

ان بحث البناء المستمر في معنى الجدوى لا يمتلك ديناميكيته الا عبر تفاعل الانفس والافكار الإنسانية ولو تأملنا في اعماله الفنية نحتاً ورسماً فلا بد لنا التأكد من اننا ننظر الى كيانات قائمة بذاتها تتصل بجملة المؤثرات الحياتية والاشكال الآدمية المعبر عنها بالخشب والالوان وتلك الاشكال الآدمية تتصل بأشياء واقعية منتزعة من الحياة وتلك الاشياء الواقعية لها صلة ارتباط بالتاريخ العراقي المعاصر، فكل لوحة تمثل موضوعاً آخر، وكل تمثال يقدم للمتلقي اغراءات يستظهر الجمال خلالها باعتباره تعبيراً عن الشعور العاطفي الاكثر قرباً.

(ربيع الانكسارات) في بيت المدى للثقافة والفنون:

الفنانة أرز الأسمر: ارسم بصدق ولا تعنيني مسألة البيع والاقتناء

دمشق ـ ابراهيم حاج عبدي

تحت عنوان (ربيع الانكسارات) تقيم الفنانة التشكيلية السورية الشابة أرز الأسمر معرضا تشكيليا لأعمالها في بيت المدى للثقافة والفنون في دمشق ، وذلك خلال الثلث الأول من شهر آب الجاري ، ويضم المعرض نحو ثلاثين لوحة متفاوتة الحجم ، ومنفذة بتقنية الألوان الزيتية والألوان المائية ، إذ تحاول الفنانة ان تعكس الانكسارات ، والمواجع ، والخيبات التي يعيشها إنسان هذا العصر عبر لغة تشكيلية تومئ من دون أن تصرح ، فهي ، وكما يقول الشاعر بندر عبد الحميد في كلمته المكتوبة على (برشور) المعرض(ترسم حركة الجنام وليس الجنام ، ترسم الصرخة وليس الحنجرة ، والعطر وليس الوردة ، ما هو مكتوم وليس ما هو معلن ، ولا ترسم الجرح وإنما الألم نفسه ، وقد ترسم الابتسامة ، وليس الوجه والشفتين).

والواقع ان الناظر إلى لوحات الأسمر يدرك ان ثمة وجعا دفينا، وحزنا مقيما هما اللذان يوجهان ريشة الفنانة، ويضيئان لها طريق الدخول إلى عالم تلفه القسوة، والكآبة، والمرارة، وهذا يتبدى . فضلا عن عنوان المعرض . يتبدى من خلال تلك الألوان القاتمة التي تغطي مساحة اللوحة، وكذلك من خلال تلك الوجوه الكالحة المغلفة بالحيرة، والتأمل، والقلق لتظهر من بعيد وفي زاوية مهملة وبعيدة بارقة أمل صغيرة تحرض على السؤال، وتدعو إلى قليل من التفاؤل وسط الخراب الطاغي، وهي لا تقدم تبريرا لتكرار هذه الألوان القاتمة في لوحتها كالأحمر والأزرق والأسود، وكذلك الألوان التي تعطي انطباعا بالحزن والكآبة كالأصفر، بل تقول أنها تختار موضوعا ما، وحين تقف أمام القماشة البيضاء تجد ان الألوان القاتمة هي (القادرة على ترجمة هواجسها وهمومها ومشاغلها بصدق).

(ربيع الانكسارات) هو المعرض الفردي الثاني للفنانة أرز الأسمر، إضافة إلى مشاركتها في عدة معارض جماعية، وهي على الرغم من تخرجها في كلية الفنون الجميلة بدمشق (قسم التصوير الزيتي) قبل ثلاث سنوات، إلا أنها تقول ان الميل إلى الرسم لديها يعود إلى أيام الطفولة البعيدة في بلدتها النائية الواقعة على حدود الصحراء السلمية (وسط سوريا)، فقد اختزنت الفنانة في ذاكرتها تفاصيل تلك الطفولة البائسة التي عاشتها وسط أسرة معدمة، فغاصت . منذ ذاك . في صخب الألوان في محاولة للتعبير عما يجول في نفسها من هواجس ومخاوف وطموحات، وهي تعزو طغيان هذه الروح الكئيبة على لوحتها إلى أيام الطفولة، وكذلك إلى الظروف الصعبة التي يعيشها هذا الجيل والتي أضفت على فنها أسلوبا خاصا يأبى التصالح مع واقع مرير لم يمنحها سوى الخيبة والانكسار فراحت توثق ذلك بريشتها التي تروي بشغبها على البياض (محنة الإنسان المعاصر).

ان هذا النزوع العفوي إلى اللون وسيلة لمخاطبة الآخر قادها إلى تقديم لوحة خالية من أي تزيين، فهي تغمس ريشتها في فضاءات الألم والحنين وتعكسها في لوحة تقرأ الواقع من دون أن تضفي عليه ما يجعله مقبولا لدى مقتني اللوحات، أو أن تصلح للعرض في الصالونات المرفهة، بل على العكس تحاول أن تصدم المتلقي، وتثير لديه سيلا من الأسئلة، وقدرا كبيرا من القلق، فهي تقول انها ترسم بصدق ما تشعر به وتحس به، ولا يعنيها بعد ذلك النقد الذي (يبالغ في تأويل مضامين اللوحة)، كما ان مسألة البيع مسألة ثانوية بالنسبة لها بل هي تقول انها تهدي الكثير من لوحاتها إلى أصدقاء يقدرون الفن كي لا تقع اللوحة في يد من ينظر إلى الفن كسلعة.

وتضيف الأسمر بأنها لا تحبذ شرح اللوحة بل ترغب في ان يقرأ لوحتها كل متلق بحسب ثقافته البصرية، فاللوحة تتعدد بتعدد الناظر إليها، معترفة بان المجتمع بصورة عامة، يفتقد تلك الثقافة البصرية التي من شأنها تقدير اللوحة والاهتمام بها، وعلى الرغم من أنها تقول انها: ترسم لوحة بسيطة غير مبهمة لكنها دائما تجد من يغرقها بالأسئلة والاستفسارات، وهي تسعى دائما إلى تثقيف لوحتها كي لا تهرم فهي تطور من ثقافتها البصرية،كما أنها تقرأ الشعر والرواية والقصة القصيرة وفي كثير من الأحيان، وبوحي من هذه القراءات، تتشكل في خيالها تفاصيل لوحة ما سرعان ما تقوم بتنفيذها على القماشة البيضاء التي ترى فيها مساحة واسعة من الخوف، فلحظة الوقوف أمام هذه القماشة والشروع في رسم لوحة جديدة، هي من أقسى اللحظات وأصعبها، ولكن ما ان تبدأ الخطوط الأولى بالظهور حتى تتحول هذه الحالة إلى نوع من الفرح في انتظار ميلاد جديد.

عناوين لوحاتها: بلاد أضيق من الحب، حنين، رحيل المسافات، الذاكرة والموت، خريف، شرود... وغيرها من العناوين لا تبتعد كثيرا عن تلك العوالم التراجيدية المجسدة في لوحة أرز الأسمر التي تبحث لنفسها عن وطن في عالم اللون، مؤكدة ان ما ترسمه هو (نابع من صميم الواقع المحيط بنا لكن الكثيرين لا يمتلكون الجرأة للاعتراف)، مشيرة إلى ان في داخل كل إنسان يوجد الحلم والانكسار، الحزن والفرح ... وما أقوم به هو (محاولة لرصد العوالم الداخلية لأشخاص عرفتهم وأحببتهم) ووضعتهم في إطار لوحة هي القادرة، على الرغم من صمتها وهشاشتها، على الدفاع عن نفسها.

سوسة عاصمة الامبراطورية الفارسية القديمة مكب للنفايات

قال مسؤول الشؤون الثقافية في بلدية طهران ان اشهر المواقع التاريخية في ايران مدينة سوسة عاصمة الامبراطورية الفارسية القديمة تستخدم حاليا مكبا للنفايات.

واضاف مهدي قنبري ان:حراسنا يرون باستمرار عمال البلدية وهم يفرغون نفاياتهم في هذه المدينة وقد تقدمنا باكثر من شكوى لكن البلدية تنكر ذلك.

وتابع: الا ان هذا السلوك لا يقارن بالضرر الناجم عن بناء شبكة من الطرق قرب التلال التي كانت تقوم المدينة عليها وحيث كان قصر داريوس ومقبرته ايضا.

واوضح المسؤول الايراني ان: الموقع الممتد على مساحة ١٦هكتارا ما زال مليئا بالاثار التي لم يتم الكشف عنها وهناك الاف الاشياء التي يجب ان تخرج الى النور.

وتعتبر سوسة او شوشة كما سماها العرب احدى اهم المدن في الحضارة العيلامية والاخمينية حيث كانت عاصمة لهاتين الحضارتين وهي المدينة التي احتلها الاسكندر وسماها سلوقية.

وتعتبر المدينة في التاريخ الفارسي ندا لمدينة برسيبوليس خصوصا ان داريوس اختارها عاصمة شتوية لمملكته.

وفي سوسة نفسها تم اكتشاف لوحة حمورابي (١٧٥٠ قبل الميلاد) المحفوظة في متحف اللوفر في باريس ويبلغ ارتفاعها مترين وهي تعتبر اول دستور في العالم.

وكانت اللوحة التي كتبت بالحرف المسماري وهي مجموعة من القوانين التنظيمية خصوصا القضائية والاجتماعية اكتشف عام ١٩٢٠ ثم نقلت الى اللوفر.

وحذر مهدي من عمليات التنقيب العشوائية في المدينة قائلا: ليس هناك حتى حارس واحد لهذه الاثار.

قد تعود الى مكانها في افغانستان

تماثيل بوذا

ترجمة/ عادل العامل

لم يكن ركام الحطام البالغ وزنه ١٠٠ طن سوى ما كان فيما مضى تمثالاً هائلاً لبوذا حتى وصول فرقة تهديم طالبانية قبل ثلاث سنوات، ولا يزال الركام عند قاع محرابه الضخم المتبقي حتى الان كومة من الصخور والرمال بدت صغيرة في الحيز الشاسع المحفور داخل جرف من الصخر الرملي قبل ١٧ قرناً من الزمان.

وفي حفرة عميقة كان من المعتاد ان يرى فيها تمثال لبوذا توأم اصغر حجماً، على بعد نصف ميل بامتداد جرف مشهدي مثير منقط بكهوف كانت حجرات تأمل للرهبان فيما مضى من الزمان يمكن تمييز مخطط شبحي للتمثال الزائل الثاني قبالة جدار خلفي.

وعند اول الظلام يبدو وكأن تمثال بوذا الاكبر لا يزال هناك، يراه المرء عبر الوادي الاخضر المغطى بحقول القمح ومجاميع اشجار الحور والذي كان ذات يوم موطناً لمبدعي هذه الروائع المدمرة. وليس هناك الكثير مما يمكن التعرف عليه قريباً من ذلك الركام. ويدعي القرويون ان سيارتي حمل وصلتا في الحال بعد الهدم لتتم تعبئتهما بالقطع الممكن بيعها، وارسالها الى سوق الآثار القديمة غير القانونية في بيشاور، بباكستان. لكن عمل الهدم النهائي الذي قامت به طالبان كان مؤثراً بشكل مأساوي.

فالتمثالان كانا يبدوان صلبين لكنهما كانا مصنوعين من الحجر الرملي الناعم. والان فإن البقايا رمل تقريباً. وتبدو فكرة اعادة البناء امراً مثيراً للضحك. غير ان هذه الاكوام سبب لواحدة من اكثر المناقشات عاطفية في علم الآثار القديمة.

ويعتقد بعض الخبراء بأن الحفر التي خلفها هدم تمثالي بوذا ينبغي ان تترك على حالها، تذكيراً ببربرية طالبان. ويجادل آخرون بان اعجوبتي العالم القديم يمكن ان تخلقا من جديد من هذا الحطام نفسه.

وتكثر، وفي الوقت نفسه المشاريع الدالة على خفة العقل. فهناك امير حرب سابق يهدد بإعادة انشاء التمثالين بالاسمنت وبليونير ياباني مبهم يقال ان لديه خطة لاعادة البناء ونحات ايطالي يريد ان يحفرهما مجدداً علاوة على ذلك في الجرف، وفنان آخر يريد اعادة ابداعهما بمادة البوليستيرين. ويضغط رجال اعمال افغان على الحكومة للحصول على حقوق البدء بعروض صوتية وضوئية لزيادة تقاطر السواح العائدين الان الى خيام فندق باميان البدوية المصنوعة من اللباد والمزودة بمرافق صحية.

غير ان مصير التمثالين يمكن ان يكون لدى مرمم فني بافاري محنك له شارب حيوان الفظ (شبيه بالفقمة) قضى زمناً من عمره في القلاع والكاتدرائيات الالمانية. فقد بعثت اليونسكو ادموند ميلزل ليقضي الصيف هناك ليتفحص اكوام الحطام ويقدر ما اذا كانت تحتوي على المادة الخام لاعادة البناء. ويعلم السيد ميلزل في أي حقل الغام هو -حرفياً. فخبراء الترخيص يتحققون من صحة وجود الغام ارضية في الحطام.

وهو ايضاً حقل الغام سياسي، يتمركز على رمز مربح على وجه الامكان لإعادة الاعمار الافغاني.

وهو يعد، بالنسبة للاكاديميين بأن يكون ساحة معركة عندما يعقد مؤتمر لليونسكو خلال كانون الاول في طوكيو لتقرير مستقبل الموقع.

لقد جمع حتى الان مقادير كبيرة من الاجزاء المهشمة-وبوجه خاص السطوح الاصلية المصنوعة من الجص. وهو لا يصدق حكايات نهب الموقع، فمقدار الحطام يبدو مطابقاً لحجم التمثالين، ولكن استعادة اجزاء تمثال بوذا الصغير - الذي يبلغ قياس ارتفاعه ١٢٥ قدماً- تمثل مشكلة لانه انهار على منحدر حاد، فتناثرت الاجزاء بشكل اكثر اتساعاً. ويمكن ان تلصق الشظايا السطحية معاً في ممارسة ذات تعقيد بلاغي لاعادتها الى بهائها السابق. ولا يعتقد احد بأنه سيتم العثور على جميع القطع المحطمة.

يقول احد امراء الحرب السابقين وحاكم مقاطعة باميان الان: (لقد كان تمثالاً بوذا نوعاً من الرمز لتاريخنا وثقافتنا، شيئاً ما يقدمنا الى العالم، والان نحن ادنى شأناً بدونهما)، وهو مصمم على رؤيتهما وقد اعيد بناؤهما، حتى لو كان ذلك يعني ان يقوم مواطنوه بذلك، واقامة بديلين لهما من الاسمنت.